

تأثير الترجمة على اللغة العربية

أ.د. محمد حسن محمد عصفور

جامعة فيلادلفيا الخاصة
المملكة الأردنية الهاشمية

الخلاصة

يتناول هذا البحث التأثير الذي أحدثته الترجمة وما تزال تحدثه في اللغة العربية. ولهذا التأثير وجهان، أحدهما إيجابي والآخر سلبي. أما التأثير الإيجابي فيتمثل في إثراء العربية بالآلاف المفردات في العلوم والتكنولوجيا والفنون عن طريق التعريب، وبأعداد كبيرة جداً من المفردات والعبارات عن طريق الترجمة. لكن الترجمة أخذت تؤثر سلباً على طبيعة اللغة العربية من حيث البنية والاشتقاق ونحت الكلمات الجديدة. وهذا الأثر السلبي لا ينحصر في الترجمات التي يقوم بها مترجمون ينقصهم الحرص على سلامة اللغة ويستهيئون بمتطلبات التعبير العربي السليم بل أخذ يظهر أيضاً في كتابات غير مترجمة تتصف بقدر لا يستهان به من العجمة، وذلك بتأثير الترجمات السيئة.

المفردات المفتاحية: ترجمة، تأثير، أصوات، تراكيب، مفردات، اشتقاق، سوابق، لواحق

ABSTRACT

This article studies the impact that translation has had and is still having on Arabic. The study shows that the process of translation has produced both positive and negative results. Arabic has, for instance, been enriched by the addition of thousands of lexical items in science and technology through Arabicization and countless other terms in various fields through calquing or loan translation. The negative impact of translation has been made manifest by its impact on the very structure of the Arabic language and in the way words are coined and combined together. This negative aspect of translation is not limited to translations produced by incompetent translators who do not show sufficient respect for good Arabic but is spreading to original compositions in Arabic that often sound translated or even foreign.

Key terms: translation, impact, lexical items, structure, derivation, sounds, prefixes, suffixes

تقديم:

لا تختلف اللغة العربية عن اللغات الأخرى في أنها أثرت في غيرها مثلما تأثرت هي بغيرها من اللغات التي أتصل بها العرب. فتأثيرها في الفارسية والتركية والأردية

والإسبانية على سبيل المثال أمرٌ معروف. وقد عُرِفَ تأثرُها بغيرها من اللغات منذ فترة مبكرة كما يُّضح من الجدل الذي دار حول الألفاظ غير العربية التي وردت في القرآن الكريم. ومع أن لسان العرب يضمُّ كثيراً من الكلمات التي توصف بأنها فارسية معرّبة، فإنه لم يُدرج كلمات كثيرة دخلت إلى اللغة العربية من اليونانية عن طريق الترجمة، وأخذ الأطباء والفلاسفة يتداولونها كما نتداول هذه الأيام كلمات لا حصر لها من اللغات الأخرى⁽¹⁾، ولا سيما اللغة الإنكليزية التي سيركّز هذا البحث عليها.

ومن المعروف أن التأثير يتناسب تناسباً طردياً في العادة مع القوة السياسية والاقتصادية والثقافية لأهل اللغة المؤثرة، وأنه كلما ضعفت القوة السياسية والاقتصادية والثقافية لأمة من الأمم ضعف تأثير لغتها في لغات الأمم الأخرى. وهذا مبدأ ليس له استثناءات كثيرة منذ أن صاغه ابن خلدون في مقدّمته عند حديثه عن تأثير الغالب في المغلوب⁽²⁾. ولما كانت الأمة العربية في عصرها الحديث تُصنّف بين الأمم المغلوبة فإنّ من الطبيعي أن يكون تأثير لغتها في اللغات الأخرى ضعيفاً وأن يكون تأثر لغتها باللغات الأخرى قوياً. وبما أن الأمة العربية في هذه الأيام تقف في الغالب موقف المتلقي وليس المنتج في مجال الثقافة والعلوم فإنها مضطّرة للتعامل اليومي في وسائل الإعلام والتعليم مع كمّ هائل من الكلمات والمفاهيم الجديدة التي ليست لها مقابلات جاهزة في اللغة العربية، والتي يجهد المترجمون في ترجمتها أو تعريبها بدرجات تتفاوت في النجاح من حالة إلى أخرى، بحيث تُغني بعض الترجمات عن قراءة النصوص الأصلية، ويحتاج بعضها إلى قراءة النصوص الأصلية لكي تُفهم الترجمة والهدف من هذا البحث هو رصد الظاهرة من ناحيتها الإيجابية والسلبية. أما الناحية الإيجابية من التأثير، وهو التأثير الذي لا يتمثل في اغتناء اللغة العربية الحديثة بعدد هائل من المفردات وأساليب التعبير الجديدة فقط، بل في ازدياد الأصوات والحروف التي تُستعمل فيها أيضاً. أما الناحية السلبية فتتمثل في فوضى الاشتقاق والتعريب والتقليد الذي لا مسوّغ له لبنية اللغة الأجنبية وفي شيوع العجمة في كثير من الكتابات التي يكتبها عربٌ خارج نطاق الترجمة المباشرة، مما يدلُّ على تغلغل الأثر الأجنبي في أساليب التفكير والتعبير عندنا تغلغلاً قد يصعب التغلُّب عليه إذا ما ظلَّ الوضع السائد في الوقت الحاضر بالاستمرار. وسيتناول هذا البحث نواحي منقاةً من هذا التأثير، بشكليه السلبي والإيجابي، يضعها تحت عناوين مناسبة توضيحاً للأفكار.

المفردات

لعلَّ أوضح أشكال التأثير والتأثير في سياقنا الراهن هو استعارة لغة من اللغات مفرداتٍ من لغة أخرى. وقد يتمُّ ذلك عن طريق اتصال الأفراد وانتقال البضائع، ولكنّه

في عصرنا الحديث يتم أكثر ما يتم عن طريق الترجمة التي تنشر هذه المفردات عن طريق وسائل الإعلام المختلفة والتعليم. والقارئ للنصوص العربية المترجمة أو المؤلفة في كثير من العلوم الحديثة لا يملك إلا أن تستوقفه الأعداد الهائلة من الألفاظ ذات الأصول الأجنبية الواضحة من حيث المبنى والمعنى، ذلك أن الثقافة العربية الحديثة تستورد أكثر مما تصدر، ولذلك فإنها مضطرة لتعريب الألفاظ أو ترجمتها. ولكن دخول هذه الألفاظ إلى اللغة العربية يحدث فيها تغييرات قد يرى بعضهم أن من شأنها تدمير اللغة، بينما يرى بعضهم الآخر أن فيها إثراء لها يمكنها من التعامل مع الحياة العصرية بكل أشكالها.

1- تعريب الألفاظ:

يتفاوت تعريب الألفاظ من حيث السهولة والصعوبة ما بين الاستبدال الآلي لأصوات عربية بما يقابلها من أصوات أجنبية لتصبح سائغة للسان العربي، وبين الاضطرار لنحت صيغ تجافي طبيعة اللغة العربية أو لا يستسيغها اللسان العربي لسبب أو لآخر. والتعريب يزداد صعوبة كلما تعلق الأمر بالكلمات التي تضم ما ندعوه بالمزيدات في كتبنا القديمة أو بالسوابق واللاحق أو باللواحق في كتبنا الحديثة ترجمة لكلمتي prefixes و suffixes أو لكلمة affixes التي تعني الاثنتين معاً. ويتعدّد الأمر أكثر ما يتعدّد عند تعريب الأفعال. وأنا لن أضيع الوقت بالحديث عن مئات الكلمات التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من اللغة العربية من أمثال "راديو" و "تلفزيون" أو "تلفاز" و "كمبيوتر" و "تلفون" و "فاكس"، إلخ. وسأركز في هذا الجزء من البحث على تعريب الأسماء التي تضم مزيداتٍ وعلى اشتقاق الأفعال من كلمات ذات أصل أجنبي.

2- الأسماء التي تضم مزيدات

تتميز اللغة الإنكليزية باحتوائها على عدد كبير من السوابق واللاحق التي تسهل إيجاد كلماتٍ جديدةٍ ترتبط معانيها ارتباطاً وثيقاً بجذر الكلمة. وللسوابق خاصة معان تكاد تكون ثابتة رغم أنها لا تستعمل مستقلة عن جذر تنكئ عليه. فالسابقان pre- و post- مثلاً ثابتتا المعنى، ولذا يمكن استعمالهما مع كلمات مثل modern و romantic و industrial لإعطائنا معنى "قبل" و "بعد" على التوالي، فنقول مثلاً premodern و postmodern و preromantic و postromantic و preindustrial و postindustrial. أما المزيدات باللغة العربية فليس لها مثل هذا الثبات في المعاني بل يغلب أن يكون ثباتها في الوظيفة النحوية أو ما يدعى بالـ aspect بالمصطلح الغربي. فالسابقة "است" مثلاً تدل في كثير من الأفعال على طلب الفعل كما في "استغفر" (طلب

الغفران)، و "استكتب" (طلب الكتابة)، و "استعلم" (طلب العلم)، لكن معنى الطلب هذا غير موجود في كلمات مثل "استمر" و "استقر" و "استحال"، و "استعد"، و "استهان"، إلخ. وعندما تُعرب اللغة العربية كلمات أجنبية فيها سوابق أو لواحق فإنها تُعربها في العادة بصفتها كلمات كاملة دون الالتفات إلى سوابقها أو لواحقها. ومن ذلك كلمات كثيرة مثل "كيلوغرام" و "كيلومتر" و "سنتيمتر" و "مليمتر" و "فونوغراف" و "تلغراف" و "تلفون" و "تلفزيون"، و "ميكروويف"، إلخ. فاللغة العربية لا تستطيع استعمال السابقة "كيلو" لتعني "ألف"، أو السابقة "سنّتي" لتعني "مائة" أو السابقة "تليد" لتعني "عن بعد" وأمثالها في كلمات عربية الأصل. لكن هذه القاعدة أخذت تتخلل بسبب ميل بعض المترجمين إلى التمسك بالفكرة الضارة التي تقضي بترجمة الكلمة الأجنبية المفردة بكلمة عربية أو معرفة مفردة. من ذلك مثلاً استعمال كلمة "ميتانقد" (3) في بعض كتب الدكتور عبد العزيز حمودة وكلمة "العسكرتاريا" (4) (على غرار "البروليتاريا" فيما يبدو، إلا إذا كانت الكلمة ترجمة وتعريباً لعبارة *the military* الإنكليزية) في الصحف العربية واستعمال اللاحقين "يك" و "وز" في أسماء بعض المركبات الكيميائية مثل حامض الكبريتيك والكبريتوز والسكروروز وحامض الليمونيك (*citric acid*)، واستعمال اللاحقة "ين" التي ترد كثيراً في المصطلحات الطبيّة، كما في "الكَطرين" *adrenalin* (الهرمون الذي تفرزه الغدة الكظرية *adrenal gland* الواقعة فوق الكلية) والعاجين (أي عاج الأسنان = *dentin*).

وقد نلاحظ هنا أن دخول الكلمات من لغة إلى أخرى ظاهرة مألوفة جداً، ولكن دخول اللواحق (أي السوابق واللواحق) أمرٌ نادر الحدوث إلا بين اللغات ذات الأصل الواحد. فالإنكليزية مثلاً قبلت أعداداً كبيرة من هذه اللواحق من اللغتين اللاتينية واليونانية لأن هذه اللغات تنتمي جميعها إلى عائلة لغوية واحدة. أما العربية فتتنتمي إلى عائلة لغوية مختلفة، ولذا فإن قبولها لهذه الوحدات اللغوية محدود جداً، وهو قبول يصاحبه دائماً شعورٌ بالقلق. كذلك فإن ابتكار مثل هذه اللواحق تأسياً بما يحصل في اللغات الأخرى لا يقل إثارة للقلق هو الآخر لأنه يفرض عنصراً لغوياً من لغة أجنبية تنتمي إلى عائلة لغوية مختلفة على لغة ليس من طبيعتها أن يكون ذلك العنصر فيها. ولتتمثيل على هذه الظاهرة أقول إن صيغة الجمع الطبيعيّة باللغة الإنكليزية هي إضافة الـ (-e) إلى آخر الكلمة. لكنها عندما استعارت كلمات من اللاتينية مثل *index* و *appendix* و *formula* أضافت إلى صيغ الجمع اللاتينية صيغتها القياسية وهي الـ (-e)، وصار الجمعُ البديل لهذه الكلمات هو الجمع القياسي ولو أن صيغة الجمع اللاتينية لم تختف. وهم يقولون *Muslims* وليس *Muslimin*، و *souks* وليس *aswaq*. وسبب هذا هو أن اللغة الإنكليزية، شأنها شأن بقية اللغات، تميل ميلاً طبيعياً إلى استعمال العناصر الأصلية فيها.

ومحاكاة العربية للإنكليزية بإقحام لواصق لا وجود لها أصلاً باللغة العربية أمرٌ يثير القلق كما قلت. من ذلك مثلاً استعمال الدكتور عبد العزيز حمودة لكلمة "البيِنصِيَّة" (5) ترجمة لكلمة *intertextuality*. فهذه "البيِن" مقابل الـ *inter-* تلوي عنق اللغة العربية لتناسب ظاهرة لغويَّة في لغة أخرى. وسبب هذا النحت الذي لا أرى له مسوغاً هو الاعتقاد الذي لا يقوم على أساس علميٍّ بأن الكلمة المفردة في لغة من اللغات يجب أن تُترجم بكلمة واحدة في اللغة المستهدفة. فلو قلنا "تداخل النصوص" مثلاً ترجمة لـ *intertextuality* لأدبنا المعنى دون الإخلال بطبيعة اللغة العربية – هذا لو لم تخطر على بالنا الترجمة الأخرى، وهي "التناص" التي تؤدِّي المعنى تماماً بصيغة عربية سليمة. لكن لعننا نلتمس عذراً للدكتور حمودة إذا ما وجدنا أن هذا الميل إلى نحت السوابق ظاهرة فاشيئة في قاموس مشهور هو قاموس المورد الذي وضعه منير البعلبكي. ففي هذا القاموس نجد منحوتات مثل "بيخلوي" *intercellular* و "بيقاري" *intercontinental* و "بيضلي" *intercostals* و "بيثقافي" *intercultural*، و "بيولياتي" *interstate*، إلخ، حيث تقابل هذه "البيِن" السابقة الإنكليزية *inter-*. لكن الفرق بين السابقة الإنكليزية وهذه السابقة العربية المقترحة هو أن السابقة الإنكليزية لها معنى حتى عندما لا تكون متصلةً بجذر، بينما ليس للسابقة العربية "بيِن" معنى (6). والسابقتان الوحيدتان اللتان قبلتهما اللغة العربيَّة دون تحفُّظ هما "لا" في كلمات مثل "اللافلزيَّة" و "اللاأخلاقية" و "اللاأدرية" (7) و "ما" في كلمات مثل "الماورائية" (8) و "الماتريديَّة" (9) و "الماجريات" (وهي جمع "ما جرى") (10). ومن الواضح أن هاتين الكلمتين لهما معنى في حالتي الاتصال و الانفصال على السواء. وما قلناه هنا عن السابقة المقترحة "بيِن" ينطبق على السوابق المقترحة الأخرى في قاموس المورد مثل السابقة "تحـ" في كلمات مثل "تحمائي" *underwater*، و "تحجناحي" *underwing* و "تحسطي" *undersurface*، إلخ. ومثل السابقة المقترحة "فو" في كلمات مثل "فوبنسجي" و "الفوسمعيات" *supersonics* و "فوحسي" *supersensible*، إلخ.

3- اشتقاق الأفعال من كلمات ذات أصل أجنبي

لاحظتُ في دراسة سابقة لي أن اشتقاق الأفعال ممكن من الأسماء الأجنبية إذا كان الفعل الناتج رباعياً، وغير ممكن في الحالات الأخرى (11). ولذا كان بالإمكان اشتقاق أفعال كثيرة مثل "تلقن" و "تلقن" و "تلقن" و "أكسد" و "هدرج" و "أدلج" (من إيديولوجيا (12))، و "هرطق" (من الهرطقة = *heresy – heretic*)، إلخ. وقد اقترح قاموس المورد كلمة "كمتر" مقابلاً لـ *computerize* جرياً على القاعدة نفسها. ولولا أن الفعل "حوسب" يلاقي قبولاً أوسع باعتبار الكلمة ذات أصل عربيٍّ مفهوم لكان حظُّ كلمة "كمتر" من الشبوع ما للكلمات التي ذكرناها قبل قليل.

لكن الأمر ليس بهذه السهولة في كثير من الأحيان. فصياغة الأفعال يعترضها أمران أولهما يتعلّق بما قد ندعوه بالسليقة اللغوية عند أهل اللغة، وثانيهما يتعلّق بطبيعة اللغة ومدى تقبلها للنحت والاشتقاق. أما السليقة اللغوية فلا تخضع للقياس العلمي بل إلى إحساس أهل اللغة بما قد يصفونه بأنه مستساغ أو غير مستساغ دون القدرة على بيان الأسباب المقنعة. من ذلك مثلاً استهجاني أنا للفعل "دسك/ يدسك" ترجمة للفعل disco، ولل فعل "يعضّي" ترجمة للفعل organize، ولل فعل "يُدقِرط" تعريباً للفعل democratize (وكلها من قاموس المورد). أما استهجاني للفعل "دمقِرط" التي ترد في بعض الصحف وقبّلها حسن الكرمي في قاموسه المعني الكبير فقام على أن طبيعة اللغة العربية لا تجيز اشتقاق أفعال يزيد عدد حروفها الأصلية عن أربعة (13).

لقد أجازت اللغة العربية قديماً نحت الأفعال الرباعية من كلمات متعدّدة من أمثال "بَسَمَل" و"حوَقَل" و "حمَدَل". وقد استغلّ قاموس المورد هذه الإجازة فنَحَت أفعالاً رباعية كثيرةً من كلمتين أو أكثر أرى أن حظّها من الشبوع شبه معدوم لأننا بحاجة دائماً إلى شرحها بالعربية أو إلى الرجوع إلى أصلها الأجنبي لفهم المقصود منها. ولا يتسع المجال هنا لإعطاء الكثير من الأمثلة، لذا سأكتفي بخمسة فقط:

يُزَقِطُ = يزيل الاستقطاب depolarize

يُزَأَكِجُ = يزيل الأوكسجين deoxidize

يُزَمَوْهُ = يزيل الماء dehydrate

يُنَزَوْرُ = ينزع ورق الشجر defoliate

يُنَزْهَرُ = ينزع الزهر عن النبات deflower

وكما هو واضح فإن المؤلف أخذ جزءاً من الكلمة الأولى من العبارة العربية ومزجها بجزء من كلمة أخرى في العبارة فجاء بهذه الكلمات الغريبة. وسبب ذلك هو ما ذكرته آنفاً عن الاعتقاد المغلوط بأن الكلمة المفردة في اللغة المترجم منها يجب أن تقابلها كلمة مفردة في اللغة المترجم إليها.

4- ترجمة الألفاظ:

هناك أعداد كبيرة من الألفاظ التي أضيفت إلى العربية تحت تأثير اللغة الأجنبية وذلك باستعمال عناصر من داخل اللغة عند الترجمة. وقد نال الكثير من هذه الألفاظ حظاً وافراً من الشبوع، فصارت جزءاً لا يتجزأ من اللغة. وقد صيغ كثير من هذه

الألفاظ وفق أوزانٍ عربية سليمة أعطتها ما حصلت عليه من المشروعية. ومن هذه الألفاظ ما صيغ على وزن "فعللة" مثل "العولمة" و "المكننة" (وليس "الميكنة" التي لا وجه لها) و "الكهربة" و "الحوسبة"، إلخ. ومنها ما صيغ على وزن "تفعيل" مثل "التصنيع" و "التطبيع" و "التعقيم" و "التشخيص" و "التأميم"، و "التخصيب"، إلخ. ومنها ما صيغ على وزن "تفعل" مثل "التصحّر" و "التجسّر" و "التأقلم".

لكن هناك من الصيغ صيغٌ ليس لها سند قوي من اللغة رغم وجود أمثلة متناثرة منها في المتون المعتمدة كالروحانية والجسمانية. ومن هذه المنحوتات الجديدة مثلاً هذه الكلمات من ترجمة ثائر ديب لكتاب تأملات في المنفى لإدورد سعيد: "الأفريقيانية" Africanism (29، 31)، "التاريخانية" historicism (149)، و "الجوهريانية" essentialism (149)، و "الكليانية" universalism (153)، ومنها عند غيره "الشكلانية" formalism، و "الشخصانية" personalism، و "العلمانية" secularism، إلخ. وقد فُكّرت طويلاً في الفرق بين ما تؤدّيه كلمة "التاريخية" من معنى وما تؤدّيه كلمة "التاريخانية" وعن الفرق بين "الشكلية" و "الشكلانية" على سبيل المثال فلم يسعني الحظ. فإن كان في هذه اللاحقة "انية" معنى تؤدّيه اللغة الإنكليزية باللاحقة -ism، فإن هذا قد يعدُّ مكسباً للغة العربية. لكنني لم أتبيّن هذا المعنى لأنّ صياغة المصدر الصناعي عن طريق ياء النسبة وتاء التأنيث هي التي ظلّت تؤدّي هذا المعنى منذ القديم حتّى وقتنا الحاضر.

وقد أخذت تشيع كلمة "مأسسة" مقابل institutionalization، وهي صيغة من المفترض أن تعطينا فعلاً بصيغة "مأسس/ يماسس"، ولكن العربية لا تصوغ الأفعال من المصادر الميمية (14). كذلك شاعت صيغة "تمفعّل/ يتمفعّل" في كلمات مثل "يتمركز" و "يتموقع" ("متموقعة" عند ديب، ص 153) و "يتموضع" التي ترد عند بعض المترجمين بصيغة "توضّع" (فؤاد شعبان، ص 67) مقابل situated، إلخ.

كذلك شاعت في الآونة الأخيرة كلمة أدبيات مقابل كلمة literature في سياقات لا علاقة لها بالأدب. وهي ترجمة حرفية لا مسوّغ لها إلا أخذ المعنى القاموسي الأقرب للكلمة الإنكليزية. فالمفرد الطبيعي لكلمة أدبيات هو الصيغة أدبية (واحدة) التي لا وجود لها. أما الصيغة أدب فجمعها آداب وليس أدبيات. لكن كلمة literature في أمثال السياق الذي نتحدّث عنه تعني الكتابات أو البحوث أو الدراسات التي تتناول موضوعاً ما. فنحن نتحدّث مثلاً عن medical literature أو ما شابه ذلك من حقول المعرفة المختلفة، سواء أكانت علمية خالصة أم تنتمي إلى العلوم الإنسانية. أما

الأدب فهو نوع متخصص من الـ *literature*. ومن الواضح أن كلمة "أدبيات" تنتمي إلى عائلة المصطلحات العلمية التي تتخذ صيغة جمع المؤنث السالم شكلاً ولكنها ليست جمعاً حقيقياً من أمثال "الرياضيات" و "الطبيعيات" و "الإلكترونيات"، وهي مصطلحات أخذت هذا الشكل تحت تأثير الترجمة لأن الكلمات المقابلة لها باللغة الإنكليزية تُكتب بصيغة الجمع وتُعامل معاملة المفرد.

الأصوات والحروف

ليست الأصوات التي نكتبها في العربية الفصيحة هي كلُّ الأصوات التي ينطق بها العرب في حياتهم اليومية. فمن المعروف أن بعض سكان جنوب الجزيرة العربية ينطقون القاف كما ينطق القاهريون الجيم (أي بصوت الـ *g* في كلمة *go*)، وأن صوت الـ *ch* في *church* موجود في مناطق واسعة من بلاد الشام والعراق والخليج العربي. ويبدو أن هذين الصوتين كانا موجودين في اللغة العربية منذ القدم. وقد دخل إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة صوتان آخران هما الـ *p* والـ *v*. وقد استحدثت المطابع رموزاً لهذه الأصوات الأربعة هي الحروف *p*، *q*، *g* (أو الغين المثناة)، و *f*. ولم تُستحدث بعدُ رموزٌ تمثل أصوات العلة التي نحتاج إلى تمثيلها من لهجاتنا المحليّة أو عند الترجمة من اللغات الأخرى. وهذا يعني أن الألفباء العربية ما عادت في حقيقة الأمر تتكون من ثمانية وعشرين حرفاً فقط بل من اثنين وثلاثين حرفاً (إذا مضينا في عدم احتساب الهمزة حرفاً مستقلاً). وهذا تغييرٌ مهمٌ بعيد الأثر. ومما يتوجب قوله هنا أن هذه الأحرف المضافة لا تؤثر على التراث تأثيراً سلبياً على الإطلاق، بل هي تمكّن اللغة العربية من تمثيل الأصوات المحليّة والمترجمة تمثيلاً أدقّ مما كان متاحاً في السابق. وهذه الإضافات إلى الألفباء القومية نجد مثيلاً لها في اللغة الإنكليزية. فإلى جانب الرموز الصوتية التي تستخدمها القواميس الإنكليزية لإيضاح كيفية نطق الكلمة كما في الـ *International Phonetic Alphabet*، هناك أيضاً تعديلاتٌ على بعض الحروف لتمثّل أصواتاً من لغات أخرى. فهناك كلمات إنكليزية تكتب بحروف ليست من بين الحروف الستّ والعشرين التي تتشكّل منها الأبجدية الإنكليزية. ومن هذه الـ *ç* المستخدمة في كتابة كلمة *façade*، والـ *é* المستخدمة في كلمة *café* أو *risqué*، والـ *ö* المستخدمة في كتابة كلمة *röntgenize*. وما زالت القواميس الإنكليزية تكتب كلمة *naïve* بحرف *ï* فوقه نقطتان. ومن يقرأ الموسوعة الإسلامية بالإنكليزية يجد أنّ الأحرف اللاتينية قد عدّلت لتمثّل الأصوات العربية التي لا وجود لها بالإنكليزية تمثيلاً دقيقاً.

غير أن المترجمين العرب، ولا سيّما أولئك الذين لا يحرصون على الدقّة والذين اعتادوا إهمال أحرف العلة القصيرة أو الحركات جهلاً أو خوفاً من الوقوع في الخطأ، أساووا إلى اللغة العربية إساءة كبيرة حينما أحلّوا أحرف العلة الطويلة محلّ الحركات وأخذوا يكتبون الأسماء على هيئة "كلينتون" و "بوش" و "إيليويت" و "ويليام" و "ديكنز". ولم يؤدّ هذا الإهمال إلى تشويه لفظ الأسماء الأجنبية فقط بل أخذ يؤثر حتى على كتابة الأسماء العربية. ولذا فإنك تجد اسم "رلى" وقد كتّب "رولا"، واسم "نورة" وقد كتّب "نورا"، واسم "جمانة" وقد كتّب "جومانا"، وقس على ذلك.

الصرف

مرّ بنا قبل قليل كيف أن قاموس المورد يأخذ كلمة "بين" أو "تحت" ويحذف منها الحرف الأخير، ويلصق ما بقي منها بكلمات أخرى للحصول على صيغ مشابهة للصيغ الإنكليزية التي تبدأ بالسابقة -inter أو بالسابقة -under على التوالي. وهذا يعني بمصطلحات علم الصرف الحديث أنه يأخذ مورفيماً حرّاً أو مستقلاً free morpheme ويجعله مورفيماً متصلاً أو غير مستقلّ bound morpheme. وقد فعل القاموس نفسه شيئاً مماثلاً عندما ألصق مورفيمين مستقلّين وأوجد منهما كلمة واحدة جديدة تخالف بكل المعايير طبيعة اللغة العربية. من ذلك هذه المجموعة من المبتكرات التي تخلّ بكل قواعد الصرف العربي:

شَلِّيطَلِي = متعلّق بشلل الأطفال poliomyelitic

تحوُّلِيْتَبْئِرِي = متعلّق بالتحوُّل التَبْئِرِي paramorphic, paramorphous

اختلافِيْمَنْظَرِي = متعلّق باختلاف المنظر parallatic

سَفْرِيْمَحِيْطِي = ذو علاقة بالسفر في المحيطات أو مناسب له oceangoing

ومن ذلك أيضاً هذه المجموعة من الأمثلة التي تفوقها تعسُّفاً في التعامل مع المورفيمات العربية:

العُسْرُم = عشر المتر decimeter

العُسْرُغ = عشر الغرام decigram

العُسْرُل = عشر اللتر deciliter

على أن ظاهرة فصل المورفيمات أو مزجها لا ينفرد بها قاموس المورد. فهي شائعة عند كثيرين. ومنها على سبيل المثال استعمال كلمة "هندأوروبي" أو

"هندوأوروبي" مقابل Indo-European (في قاموس **أطلس** مثلاً) و"أفرو أمريكيون" مقابل Afro-American عند الدكتور محمد عناني (15) و"قروسطي" أو "قروسطية" التي ترد كثيراً عند الدكتور عبد الواحد لؤلؤة وغيره ترجمة لكلمة **medieval**، و"الأخرزمانية" ترجمة لكلمة **eschatological** عند الدكتور فؤاد شعبان (ص 192) (16). ولا شك في أن قبول مثل هذه الصيغ أمرٌ يحكمه الشئوع. ومهما بلغ من تساهلنا نحو هذه الظاهرة فإننا لا نملك إلا أن نلاحظ أن هذا النوع من النحت لا تتقبله اللغة العربية بسهولة. ففي معرض التمثيل على هذه الظاهرة التي تشكل إسهاماً "لا يستهان به في حقل العلم والثقافة لأنه يساعد على إيجاد المصطلحات والتعبير الاصطلاحية المقابلة" لم يجد الدكتور الديدواي، صاحب هذا الرأي، سوى مثلين أصيلين من العربية هما "الأعداء" ("الأعداء" + "الأصدقاء") و"فَشِحتْ" ("فشلت" + "نجحت" - في حديث جريدة الحياة عن إحدى القمم العربية) صيغاً من غير شك على منوال "المتشائل" الذي جاء به إميل حبيبي. أما بقية الأمثلة، وهي ثمانية، فكلها إنكليزية وضع الديدواي مقابلين عربيين لاثنتين منها هما "الأوراسياوي" (Eurasian) و"قياس كهرومغناطيسي [كهروطيسي]" (Electrogravimetry) (ص 45-46).

لكن هناك ظواهرٌ في هذا المجال تستدعي التوقف عندها لأنها تشير إلى تحولات أساسية في بنية اللغة. من هذه الظواهر فصل مورفيمات ظللنا نعدّها مورفيمات متصلة لفظاً وكتابةً حتى وقت قريب، وربما حتى الوقت الحاضر من الناحية النظرية. وهذه المورفيمات هي واو العطف والفاء واللام والباء (17)، وأحياناً أَل التعريف. ولا شك في أن الفصل في أثناء الكلام بسبب التردد أو مراجعة الفكرة أمر مألوف. وهو أيضاً مألوف في لغة الحوار في الروايات والمسرحيات التي تحاول تمثيل اللغة المحكيّة تمثيلاً واقعياً. ولكن الفصل أخذ يظهر أكثر فأكثر في كتابات لا تسعى إلى تمثيل اللغة المحكية بل تسعى إلى تقليد اللغة الأجنبية من حيث الترقيم وتقاليد الكتابة (18). وفي هذا البحث الذي تقرأونه الآن أجدني مضطراً مثلاً إلى فصل أَل التعريف أحياناً عن الكلمة الأجنبية التي أتناولها وأكتبها بالحروف اللاتينية، كما في حديثي عن الأحرف اللاتينية أو عناوين الكتب الأجنبية. أي أنني أستعمل أَل التعريف كما قد أستعمل **the** بالإنكليزية. كذلك أجدني مضطراً لفصل الواو أو الفاء عن الكلمة التي تليها إذا جاء بعدها اقتباسٌ ليست الواو أو الفاء جزءاً منه (19). لكن هذه الظاهرة أخذت تظهر في بعض الصحف حتى في غياب هذه الأسباب. ففي صحيفة **القدس العربي** ليوم 2005/10/1 مثلاً وردت هذه العناوين:

"الصدر يدعو السنة لـ التبرُّء من الزرقاوي" بفصل اللام عن "التبرُّء".
"مقرَّب من الحكيم يَنهم السعودية بـ إثارة النعرات الطائفية" بفصل الباء عن "إثارة".
"القيادات العربية في مناطق الـ 48 تعترف بفشلها الذريع... " بفصل أل التعريف
عن الرقم 48.

أما فصل الواو عن الكلمة التي تليها فشائع جداً، ولا سيَّما في النصوص المرقونة على الحاسوب (20). وكذلك يغلب أن تُعامل أل التعريف في أسماء الأعلام عندما تكتب بأحرف لاتينية وكأنها مورفيم مستقلّ فلا توصل بالاسم الذي بعدها بـ hyphen كما ينبغي حسب التهجئة التقليدية. وكل ذلك يشير إلى أن الاتجاه هو نحو تحرير هذه المورفيمات والتعامل معها على أنها لا تتصل بالكلمة اللاحقة، وهو تطوُّر مهمٌّ في طبيعة اللغة العربية، سواءً أَرْضينا عنه أم لم نرضَ.

التراكيب

أثرت الترجمة وما تزال تؤثر على اللغة العربية من حيث تراكيبها سواء في نطاق العبارة القصيرة أو نطاق الجملة الكاملة. وسأكتفي هنا بذكر أنواع قليلة من هذا التأثير. ففي نطاق العبارة القصيرة هناك ميلٌ متزايد لاستعمال صيغ من مثل "أكثر وضوحاً" (21) more apparent و "أكثر دقّة" more exact و "أكثر اتِّساعاً" more extensive بدلاً من "أوضح" و "أدقّ" و "أوسع" على التوالي، وذلك بتأثير من الصيغة الإنكليزية التي تتخذ شكل more + adjective or adverb (22). وهناك ميل متزايد أيضاً إلى إحلال صيغة الاسم المتبوع بالصفة محل الاسم المضاف والمضاف إليه، وذلك في عبارات من مثل "ندوة توعوية" و "مباراة كروية" و "الطريقة السلطوية" (23) (لؤلؤة 237)، "الروايات الرسائلية" (لحمداني 49) بدلاً من "ندوة توعوية" و "مباراة في كرة القدم" و "طريقة السلطنة" و "روايات الرسائل" على التوالي (24).

وهناك أيضاً ميلٌ إلى استعمال كاف التشبيه في صيغ ليس للتشبيه فيها وجه، وذلك في عبارات مثل "الواقعية كمفهوم أدبي"، أو "البرلمان كسلطة تشريعية"، إلخ، حيث توازي هذه الكاف كلمة as باللغة الإنكليزية. وقد بلغ من شيوع هذا الاستعمال أن اقتناعه بحجّة مجافاته للأسلوب العربي السليم أصبح بعيد الاحتمال. كذلك أخذت صيغة الظرف الإنكليزية تطرد المفعول المطلق من اللغة العربية وتُحلُّ محله عباراتٍ من مثل "بصورة كبيرة" أو "بشكل عشوائي" مقابل تعبيرَي largely و arbitrarily على التوالي (25).

أما في نطاق الجملة فإن تأثير صيغة المبني للمجهول باللغة الإنكليزية على اللغة العربية تأثير واضح. فاللغة العربية لا تذكر الفاعل عند البناء للمجهول بل تذكر نائب الفاعل. أما اللغة الإنكليزية فقد تذكر الفاعل لأن الوظيفة البلاغية للمبني للمجهول فيها تختلف عن وظيفة هذه الصيغة باللغة العربية. وما أكثر ما نجد اليوم عبارات مثل "أرسلت الرسالة من قِبل فلان" ترجمة لعبارة من نوع **The letter was sent by So-and-so**. ومن المعروف أن صيغة المبني للمجهول اختلفت تماماً من اللغة المحكية، ويبدو أن هناك ميلاً لتقاديها حتى في الفصيحة الحديثة. فنحن نجد هذه الأيام عبارات مثل "تم عقد مؤتمر القمّة في القاهرة" وليس "عقد" المؤتمر هناك. أما الإنكليزية فيمكن أن يقال فيها: **This play was written by Shakespeare in 1604** أما ترجمتها العربية التي تقول: "كُتبت هذه المسرحية من قِبل شكسبير سنة 1604" فهي ترجمة غير صحيحة لغوياً، ويجب فيها أن يصاغ الفعل للمعلوم، فنقول: "كُتِبَ شكسبير هذه المسرحية سنة 1604". لكن هذا الخطأ أخذ يتسرّب إلى ترجمات أناس لهم مكانتهم في العالم الأكاديمي. خذ مثلاً هذه الجملة من ترجمة الدكتورة عطيات أبو السعود لكتاب **المدينة الفاضلة عبر التاريخ** لماريا لويزا برنيري، وهي ترجمة راجعها الدكتور عبد الغفار مكاوي⁽²⁶⁾: "وقبل أن يؤذن للرحالة بالدخول تم استجوابه من قبل ثلاثة ممتحنين". والصياغة الصحيحة لهذه الجملة يمكن أن تأخذ الشكل الآتي: "وقبل أن يؤذن للرحالة بالدخول استجوبه ثلاثة ممتحنين". وإذا شئنا تقديم الفعل على متعلقاته قلنا: "وقد استجوبَ ثلاثة ممتحنين الرحالة قبل الإذن له بالدخول".

وما دمنا ذكرنا الفعل وما يتعلّق به فإن الاتجاه في اللغة العربية هو نحو تقديم الفعل على المتعلقات إلا إذا استدعت حاجة بلاغية تغيير الترتيب الطبيعي. أما اللغة الإنكليزية فإن الميل فيها (وليس القاعدة) هو لتقديم المتعلقات على الفعل الرئيس في الجملة. وهكذا فإن اللغة الإنكليزية كثيراً ما تبدأ بكلمات مثل **when, what, however, when, therefore**، إلخ، بينما تضع اللغة العربية أشباه الجمل المقابلة لها بعد الفعل الرئيس في الجملة. لكن المترجمين كثيراً ما يجبرون اللغة العربية على تقليد بنية اللغة الإنكليزية، وهنا سأكتفي بثلاثة أمثلة، أولها من ترجمة أحد مترجمي كتاب فوكوياما المذكور سابقاً:

"بالنسبة لهيغل، إن للكائنات الإنسانية، شأن الحيوانات، حاجات... " (27)

ولا يخفى أن هذه صياغة سيئة لا تلفت إلى متطلبات البنية الطبيعية للجملة العربية التي تستدعي وضع كلمة "إن" في موضع الصدارة ولا تستسيغ تقديم عبارة

"بالنسبة لهيغل" على المسند إليه في هذه الجملة. كذلك لا يخفى أن المترجم قد بنية الجملة الإنكليزية التي هذا هو نصها: "According to Hegel, human beings like animals have needs..."⁽²⁸⁾ والترجمة المتحررة من البنية الإنكليزية قد تقول: "إن للكائنات الإنسانية بالنسبة لهيغل حاجات، شأنها في ذلك شأن الحيوانات...". ولكن هذه الصياغة تظل تعاني من تأثير اللغة الأصلية. فعبارة "الكائنات الإنسانية" هي في واقع الأمر ترجمة حرفية لعبارة human beings. فاللغة العربية تتحدث في العادة عن "البشر" أو "بني البشر". كذلك فإن عبارة "بالنسبة لهيغل" عبارة فلكة، أفصح منها قولنا "من وجهة نظر هيغل" أو حتى "عند هيغل". وهكذا فإننا قد نعيد صياغة الجملة بحيث تأخذ الشكل الآتي: "يرى هيغل أن لبني البشر حاجات...".

والمثال الثاني هو جملة من وضع حكمت الخطيب لم تترجمها ترجمة بقدر ما نعلم، وهي هذه:

"معتمداً المنهج البنيوي، يستطيع النقد أن يضيء بنية النص".⁽²⁹⁾

وهذه جملة غير طبيعية باللغة العربية، ولكنها طبيعية تماماً باللغة الإنكليزية. ولو قدرنا أصلاً إنكليزيا لها لاتخذ شكلاً قريباً من الشكل الآتي:

Depending on/Using/ By means of structuralist methodology, criticism can shed light on the structure of the text.

أما المثال الثالث فأقتبس من ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم لكتاب الماضي المشترك بين العرب والغرب من تأليف أ. ل. رانيل:

"ولكن الزوجة ما إن سمعت زوجها يصرخ بها على هذا النحو، وعلى الرغم من أنها قد أصابها الفزع لأول وهلة، سرعان ما فكرت في حيلة خادعة...".⁽³⁰⁾

إن بنية هذه الجملة بنية إنكليزية وليست عربية، ذلك أن من شأن البنية العربية السليمة أن تعيد الصياغة بحيث تضع المتعلقات في مكانها الصحيح وتتفادى كثرة الجمل المعارضة. وقد تتخذ هذه الصياغة الشكل الآتي: "ولكن ما إن سمعت الزوجة زوجها يصرخ بها على هذا النحو حتى فكرت في حيلة خادعة رغم الفزع الذي أصابها لأول وهلة".

وقد كان الدكتور الديدواوي قد لاحظ أن الميل لحشو الجملة بالجملة المعارضة أخذ يزداد حتى في الجمل العربية غير المترجمة، واقتبس عن سننكيفتش قوله إن "هذه

الأساليب الأجنبية التي تؤثر أحياناً على البناء الكامل للجملة أحدثت نوعاً غير معروف من الترقيم، بل غيرت كذلك من المفهوم الأساسي للجملة العربية".⁽³¹⁾ ومن المفارقات الطريفة أن الدكتور الديدواي نفسه حشر مثل هذه الجمل المعارضة في أماكن تجيزها اللغة الإنكليزية ولكن العربية لا تجيزها، كما في هذه الجملة: "ذلك أن، كما قيل، خير الكلام ما قلّ ودلّ".⁽³²⁾ فلو وضعت العبارة المعارضة في آخر الجملة لاستقام المعنى والمبنى معاً. ولا شك أن الجمل المعارضة تؤدي وظيفة مهمة في تحديد المعنى، وأن هذا التحديد ضروري للتعبير الدقيق عن الأفكار، ولكنه يجب ألا يأتي على حساب البنية النحوية السليمة للجملة العربية.

توطين المعاني

يتضمن هذا النوع من التأثير ترجمة المصطلحات والعبارات الأجنبية بحيث تبدو كأنها أصيلة في اللغة رغم كونها دخيلة عليها. وقد أوردنا سابقاً أمثلة على ترجمة مفردات كالتأميم والعولمة والتقنين والترشيد، إلخ، وهي مصطلحات أجنبية دخيلة اتخذت شكل الصياغات العربية الطبيعية من مصادر الاشتقاق الكامنة في اللغة. لكن هذا النوع من الترجمة كثيراً ما يشمل عبارات بأكملها من مثل: "الكرة الآن في ملعبك"، "العقوبات الاقتصادية"، "الدوائر المطلعة"، "المصادر البشرية"، "التنمية المستدامة"⁽³³⁾، "وزير بلا وزارة"، "أصدقاء البيئة"، "العلاقات العامة"، ومئات غير هذه من العبارات التي تأتي عبر وسائل الإعلام وتكررها صحفنا وإذاعاتنا المرئية والمسموعة تكراراً يجعلها تبدو كأنها أصيلة في اللغة. ولا شك في أن هذا النوع من الاستعارة من اللغات الأجنبية مصدر من مصادر الإثراء رغم اعتراض بعض المتشددين عليه بحجة أن الإفراط في هذا النوع من الاستعارة يهدد صفاء اللغة. والمبدأ الفعّال هنا - كما في معظم نواحي التأثير والتأثير - هو أن اللغات تخضع لضغط الحاجة، وأحياناً لضغط الشيوع. والحاجة تظهر أوضح ما تظهر - كما رأينا - في حاجة لغة من اللغات إلى مصطلحات في العلوم أو التكنولوجيا لأن أهل تلك اللغة لا ينتجون العلم أو التكنولوجيا. وأما الشيوع فيظهر في جريان الحديث في وقت من الأوقات عن مفاهيم مثل "الخصخصة" و "الشفافية" و "حقوق الإنسان" و "المأسسة" و "غسل الأموال" و "مقاربة النصوص" وغير ذلك من المصطلحات والمفاهيم التي تشكل مادة الخطاب اليومي في السياسية والثقافة والإعلام.

المختصرات

لم يشع استخدام الاختصارات في اللغة العربية إلا في نطاق محدود جداً مقارنة باللغات الأجنبية. إذ لا نكاد نجد لها أثراً في كتاباتنا القديمة باستثناء مختصرات قليلة العدد في النصوص الدينية مثل علامات الوقف في القرآن الكريم، و "نا" اختصاراً لكلمة "حدَّثنا" في كتب الحديث، وحرفي "إ هـ" للدلالة على انتهاء الكلام المنقول، و (ص) و (صلعم) و (رض) في سياق الحديث عن النبي (ص) أو الصحابة. أما في اللغات الحديثة، ولا سيما الإنكليزية، فإن هذه الاختصارات تعدُّ بالآلاف، وتجدها في كل مجال من مجالات الكتابة، بل حتى الحديث العادي. ولست أنوي في هذا الجزء من البحث أن أتحدّث عن الصعوبات التي تشكلها ترجمة هذه الاختصارات إلى اللغة العربية، فلهذا مجال آخر، بل أودُّ أن أشير إلى أن هذه الظاهرة أخذت تنتشر في اللغة العربية بتأثير من الترجمة. والـ acronyms باللغة الإنكليزية نوعان: نوع يقصد عند وضعه أن يقرأ كما لو أنه كلمة عادية مثل اليونسكو UNESCO واليونسيف UNICEF والكات GAT وغيرها، ونوع لا بدُّ من قراءته حرفاً حرفاً مثل الـ NGOs (المنظمات غير الحكومية) والـ WHO (منظمة الصحة العالمية)، إلخ. أما في اللغة العربية ذاتها فقد أخذنا نقرأ مختصرات مثل "ج م ع" (جمهورية مصر العربية) و "إ ع م" (الإمارات العربية المتحدة)، و "هـ س" (هيئة سياسية) و "هـ ق" (هيئة قنصلية) و "ق م" (قبل الميلاد) و "هـ" و "م" (للدلالة على التاريخين الهجري والميلادي)، إلخ. وقد أجهد الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، رئيس المجمع الملكي الأردني لبحوث الحضارة الإسلامية سابقاً، نفسه للتوصُّل إلى مختصر لاسم المجمع، فاهتدى بعد لأي إلى كلمة "مأب" القرآنية التي تنتقي أوائل بعض كلمات العنوان الكامل للتوصُّل إلى هذه الكلمة التي لا شكَّ في أنها ذات دلالة مناسبة جداً لما قُصِدَ منها أن تدلَّ عليه. لكنَّ الطريف في هذا المجال أن جامعة الدول العربية تسمِّي إحدى المنظمات التابعة لها بالأليكسو (وهي كلمة منحوتة على غرار كلمة اليونسكو من الـ acronym الإنكليزي لاسم المنظمة، وليس من أوائل الكلمات العربية) وأن الجمعية التي تحاول جمع المترجمين في العالم العربي في منظمة واحدة تشير إلى اسمها على أنه واثا World Arab Translators' Association مع أن شعارها الذي أوجدته لنفسها هو جمع (جمعية المترجمين العرب). وهذا ما فعلته أيضاً وكالاتٌ عربية للأنباء مثل "كونا" و"سانا" و"قانا".

أما في مجال اختصار أسماء الأعلام فقد أخذت الظاهرة تشيع – باقتصاد في بادئ الأمر، ولكنها في طريقها إلى قدر أكبر من الشيوع إذا أخذنا ما فعله الدكتور الديدواي في كتابه الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية على أنه مؤشر لما

سوف يحدث. فقائمة المراجع الملحقة بالكتاب تتبع الأسلوب الغربي الصارم في ذكر الاسم الأخير للمؤلف متبوعاً بالأحرف الأولى لبقية ما يعرف به من أسماء على شاكلة "ابن خلدون، ع. ر." و "أنيس، إ."، إلخ. ورغم ما قد يؤخذ على هذه القائمة من مأخذ (مثل التعامل مع الأسماء المركبة مثل عبد الرحمن على أنها تتشكل من اسمين منفصلين يضع لكل منهما اختصاراً منفصلاً) فإن الاتساق فيها يشفع لها. وأتوقع أن يسود هذا الاتجاه في المستقبل تحت ضغط التقليد الذي لا مفرّ منه للثقافة السائدة هذه الأيام بتأثير الترجمة.

على أن تأثير الترجمة هذا أخذ يتغلغل في أعماق اللغة تغلغلاً يجعلنا نحس أن بعض النصوص المكتوبة باللغة العربية أصلاً هي نصوص ترجمها مترجم ضعيف. من ذلك مثلاً التلخيص الذي نشره الدكتور عمر عبد العزيز في جريدة الخليج الإماراتية قبل أشهر لحوار تلفزيوني جرى مع الناقد السعودي عبد الله الغدامي تحدّث فيه عما أسماه بـ "الفحولة النسقية الموصولة بالشعْرة"، وعن "علة العلل في الفكر العربي المتشعرون"، و"تغوّل النسق الثقافي التاريخي"، والتتويج "على الشعرية بكل مضمولاتها التجويزية واللامنطقية واللامألوفة"، وعن تشخيص الغدامي "السيكوباتزم النخبة". وسواء أكانت هذه اللغة هي لغة الغدامي أم لغة كاتب التلخيص فإننا نحس عند قراءتها - كما نحس عند قراءة كثير غيرها من النصوص غير المترجمة - بأن هذه لغة تراجمة. خذ مثلاً حديث الدكتور عمر عبد العزيز عن اقتصار مفهوم الحداثة "ممارسياً" على الجانب الأدبي والشعري أو عن فكرة "تسليح" المرأة في شعر نزار قباني. قد لا يكون الدكتور عمر أو الدكتور الغدامي قد قصد بكلمة "ممارسياً" ترجمة العبارة الإنكليزية in practice أو أن يكون قصد بكلمة "تسليح" ترجمة كلمة commodification، ولكن هذا هو الأثر الذي يتركه استعمال هذه الأنواع من التعبير فينا. وقد اقتبس الأستاذ علي الشوك العبارات الآتية من كتاب ما بعد الحداثة: انفجار عقل أواخر القرن الذي لم يذكر اسم مؤلفه (34): "الخطاب الفلسفي هو خطاب لغوي، يعتمد على الحجة والمحااجة والتحجيج الذي يختلف بالنوع والجنس عن المنطق". و "المسافة كما قلت اختلافانية اختلافية لأنها وجودية منجدة. فالاختلاف هو الظهور المتظاهر والمنكشف للاختلافانية المتواربة وراء الشيء"، و "إن ربط الجمالانية بالعقلنة والتعقل والمعقولة والعقلانية هو ما تصوب له ميتافيزيقا الجمال...". و "إن الفكر المتفكرن في فكره يجمّد هذه النشاطات ويرفعها لمواضيع ذاتية بالذات وللذات" (35). أنا أقرُّ بعجزني عن فهم عربية هذا الكاتب، وأظنني كنت سأفهم أكثر لو أنني قرأت أفكاره مكتوبة بالفرنسية مع أن لغتي الأجنبية الأولى هي الإنكليزية! إننا نحس عند قراءتنا لهذا النمط من الكتابات بأن اللغة العربية أخذت تتحوّل

عن أنماط التعبير والتفكير التقليدية إلى أنماطٍ جديدةٍ قد تُعجَبُ بها أو تُعجَبُ منها ولكنها لا شكَّ آتيةٌ وربما باقيةٌ.

هل ثمة ما يمكن عمله؟

يجري الحديث أحياناً عن "المُدخلات" و "المُخرجات" في الصناعة أو التعليم أو غيرهما، وعن "ضبط الجودة" في الإنتاج (وهذه كلها عبارات مترجمة). وإذا ما استعرنا هذه العبارات في مجالنا قلنا إننا قد لا نستطيع التحكُّم في المُدخلات لأن الترجمة نشاط يمكن أن يقوم به كلُّ من هبَّ ودبَّ، ولكننا نستطيع - بدرجّة أو بأخرى - التحكُّم في المُخرجات وضبط الجودة. فالناشرون يوظفون في العادة مدقّقين لغويين للتحقُّق من خلوّ ما ينشرون من كتب وصحف من الأخطاء الطباعية. ورغم شكوانا المستمرة من امتلاء المطبوعات العربية بالأخطاء الطباعية فإننا لا نملك إلا أن نشكرهم لأنهم يخلصوننا من نسبة كبيرة من هذه الأخطاء. لكنَّ صلاحيات هؤلاء المدقّقين لا تتجاوز في العادة التحقُّق من أنّ ما طُبِعَ يمثل ما كتبه الكاتب أو المترجم. وهم لا يُبدون رأياً في صحّة ما كتبه الكاتب من حيث سلامة اللغة أو المحتوى ولا يستطيعون الحكم على جودة عمل المترجم. كذلك فإن للصحف (وربما لبعض دور النشر) محرّرين. لكنَّ وظيفة هؤلاء المحرّرين في بلادنا لا تتعدّى في الأغلب الأعمّ إجازة المادّة التي ينوون نشرها أو عدم إجازتها لأسباب سياسية أو دينية أو أخلاقية، ولا تعنيهم سلامة الصياغة اللغوية. أما في الغرب فإن المحرّر ذو صلاحيات واسعة تسمح له، بعد أن يُجاز النصُّ، بأن يتابع الكاتب أو المترجم حول أيّ شيء في النصِّ بدءاً من صحة التهجئة، ومروراً بدقّة المعلومات والأرقام، وانتهاءً بالأسلوب وسلامة التعبير وتماسك الأفكار. وهذا المحرّر يكون في العادة شخصاً ذا ثقافة واسعة في مجال عمله، وذا كفاية لغوية عالية تبيح له إخضاع النصِّ لقراءة بالغة الدقّة من حيث صحته النحوية والأسلوبية. وهو لا يجيز النصَّ للطباعة إلا بعد اقتناعه به بعد مراجعات تطول أو تقصر مع المؤلّف أو المترجم. وأنا أرى أن هذا النوع من المحرّرين هو ما نحتاجه في دور النشر ووسائل الإعلام عندنا. وليست وظيفة هذا المحرّر رقابيّة بل هي وظيفة ثقافية تسعى إلى جعل النصِّ - أصيلاً كان أم مترجماً - سليم الصياغة، خالياً من العُجمة والمغامرات اللغوية التي لا سند لها من طبيعة اللغة وتراثها الطويل. كذلك فإن النصوص المترجمة يجب أن تخضع للتدقيق قبل النشر، وللنقد والتقويم بعد النشر. وليس هناك في الوقت الحاضر سوى عدد قليل من دور النشر تطلب من مراجعين مختصّين مراجعة النصوص المترجمة⁽³⁶⁾، ولكن أكثرها لا تفعل ذلك بحجّة التكاليف

الإضافية. أما النقد والتقويم بعد النشر فلا ينهض به أحدٌ نهوضاً يمكن أن يؤدي إلى نتائج ذات بال في الوقت الحاضر لعدم وجود معايير مهنية تنظم مهنة النشر.⁽³⁷⁾ وليس ثمة في العالم العربي مجلاتٌ علمية متخصصة في علم الترجمة سوى مجلة واحدة يمكنها أن تؤدي هذه الوظيفة هي مجلة **ترجمان** التي تصدر في المغرب. والحاجة إلى وضع المعايير الراقية لتنظيم مهنة النشر وإلى دوريات أخرى مختصة في مجال الترجمة هي حاجة ملحة إذا ما أردنا الحد من الفوضى السائدة في هذه الأيام.

الهوامش

- (1) تدارك الأستاذ إبراهيم بن مراد هذا النقص فوضع معجماً من جزأين أورد فيه مصطلحات ترد في المصنفات العربية القديمة في علمي الطب والصيدلة أسماه المصطلح الأعجمي في الطب والصيدلة العربية (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985).
- (2) المقدمة (بيروت: دار الكشاف، د.ت.)، ص 147، 379.
- (3) انظر مثلاً كتاب الدكتور عبد العزيز حمودة المرابا المحذبة: من البنيوية إلى التفكيك (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998)، ص 43. وانظر حول السابقة "ميتا" الكتاب الممتع للأستاذ علي الشوك: أسرار الموسيقى (دمشق: دار المدى، 2003)، ص 41. وهنا تقتضي الأمانة العلمية أن أشير إلى أنني كنت استخدمت كلمة "ميتالغة" في أحد الكتب التي ترجمتها لسلسلة عالم المعرفة الكويتية بحجة أن العربية قبلت كلمة "الميتافيزيقا" في الفلسفة.
- (4) هذا مثلاً عنوان مقال لفاروق سعد في جريدة الصباح: "العسكرتاريا في المشهد السياسي العربي". انظر الموقع:
<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=1001>
وهذا عنوان مقال لعبد الإله بلقيز في جريدة الوطن: "في نقد العسكرتاريا العربية". انظر:
<http://www.alwatan.com.sa/daily/2004-01-04/writers/writers04.htm>
- (5) في كتابه المذكور، ص 304.
- (6) احتفظ الدكتور عبد الواحد لؤلؤة بالنون في "بين" في ترجمته لكلمة intersubjectivity بكلمة "البيذاتية" حيث يبقى معنى السابقة واضحاً على الأقل، ولكن المحاولة لا تختلف في جوهرها عن محاولات منير البعلبكي وسواه إقحام ظاهرة لغوية من لغة على لغة أخرى. انظر كتابه الصوت والصدى: دراسات و مترجمات نقدية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005)، ص 234.
- (7) وردت في ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة لمقال لإدورد سعيد كلمة "اللايكن" التي تضع هذه السابقة قبل الفعل، وحيث يعامل الفعل معاملة الاسم، على عادة بعض شعراء مجلة شعر. انظر الصوت والصدى ص 172.
- (8) وردت في الكتاب المذكور في الهامش السابق عبارة "مضامين معرفية وماوراطبيعية"، وهذه الكلمة الأخيرة هي ترجمة الدكتور لؤلؤة لكلمة metaphysical (ص 239).
- (9) راجع مثلاً الموقع الآتي: <http://www.khayma.com/kshf/M/Matorydyah.htm>

(10) انظر مادة "جرى"

Hans Wehr, A Dictionary of Modern Written Arabic, ed. J. Milton Cowan, 3rd. ed. (Ithaca, N.Y.: Spoken Languages Services, 1971).

ويتحدّث مطاع صفدي في مقدمته لترجمة كتاب فرانسيس فوكوياما نهاية التاريخ والإنسان الأخير عمّا يدعوه بـ "شيخوخة المايحدث"، وهي عبارة تحتاج إلى ترجمة للإنكليزية أو الفرنسية لكي يفهم معناها. انظر الترجمة التي أجريت تحت إشرافه للكتاب (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993)، ص 14. وقد وُجِدَت كلمة بسيطة مثل *between* من ينحت لها كلمة غريبة من هذا النوع هي "المابين". انظر كتاب الدكتور عبد العزيز حمودة المرابا المحدّبة، ص 91. أما الأستاذ علي الشوك فقد طرح في كتابه المذكور هذا السؤال: "هل أصبح المابعد ما قبل؟" (ص 44). ولكن سواء أقبلنا هذه المنحوتات أو رفضناها فإن السابقة "ما" لا تبدو لنا غريبة، ولا ينصبُّ اعتراضنا - عندما نعترض - عليها بل على الكلمة المنحوتة كلها.

(11) انظر

"Problems in Modern English-Arabic Lexicography," *Zeitschrift für Arabische Linguistik*, 42 (2003), 41-52.

(12) يستعمل ثائر ديب صيغة "المؤدلجون" في ترجمته لكتاب تأملات في المنفى لإدورد سعيد (بيروت: دار الآداب، 2004)، ص 143. ويستعمل فاروق عبد القادر تعبير "عملية الأدلجة" المفتوحة في ترجمته لكتاب رايموند ويليامز، طرائق الحداثة: ضد المتوائمين الجدد (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999)، ص 54.

(13) انظر عباس حسن: النحو الوافي، ط 3 (القاهرة: دار المعارف)، 4: 748.

(14) يستعمل الدكتور فؤاد شعبان كلمة "مسيحية" مقابل *Christianize*، بينما الكلمة الطبيعية في هذا المقام هي "تنصير". انظر كتابه من أجل صهيون: التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأمريكية (دمشق: دار الفكر، 2003)، ص 103.

(15) مرشد المترجم (بيروت: مكتبة لبنان، 2000)، ص 208.

(16) قارن هذه الصيغة القبيحة من ثائر ديب: "عالمثالية" مقابل الصفة المركبة الإنكليزية *Third-World*. انظر سعيد، تأملات في المنفى، ص 114. أما في ص 111 فيستعمل كلمة "الفقه لغوية" مقابل *philological* دون أن يدمج الكلمتين على هيئة "الفقهلغوية" كما يفعل في "عالمثالية!"

(17) مما يدلُّ على أن هذه المورفيمات كانت مورفيمات متّصلة أو مقبّدة أن المعاجم العربية القديمة لم تكن تستعملها إلا مع مورفيم آخر تتّصل به. فعند الإشارة إلى تعدية الأفعال بحرف الجر مثلاً كان حرف الجرّ يتّصل دائماً باسم يتّكئ عليه مثل: "عرّفته بزيد" وليس عرّفته بـ". وراجع كيف يعالج اللسان تعدية الفعل "رغب" بواسطة حروف الجرّ.

(18) المثال الآتي من ترجمة فاروق عبد القادر لكتاب ويليامز (حسب رسمه للاسم) مثال جيد على ما أقول: "فيوصفها دلالة على مجرد التدفق الخاوي للزمن ذاته، فإن الحداثة - بهذا المعنى - تبدأ حين تنتهي الصفة الـ "لا" زمنية الجامدة، أو الأسطورية أو الدورية للـ "الجماعة العضوية". انظر ويليامز: طرائق الحداثة، ص 12.

- (19) هذا جزء من اقتباس أورده د. محمد الديداي عن د. محمد عابد الجابري: "...أمكن القول إن علم المعاني يعني أساساً ب "شروط إنتاج الخطاب" بينما يعني علم البيان أساساً ب "قوانين تفسير الخطاب"...". انظر محمد الديداي، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2002)، ص 36.
- (20) وصل الاتجاه إلى فصل أحرف العطف هذه حدّه الأقصى عند الديداي في المثال الآتي، حيث أدخل جملة معترضة بين الواو والاسم المعطوف: "وتعني [الفصاحة]، في الكلام، خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات و، في المفرد، خلوه من تنافر الحروف... " (ص 36). وهذا مثال آخر من الكتاب نفسه: "... و، في الاصطلاح، هو [الترادف] الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد" (ص 42).
- (21) هناك أمثلة كثيرة على هذه الصيغة. انظر مثلاً فؤاد شعبان: من أجل صهيون، ص 62، 64.
- (22) وهذا مثال من ترجمة فاروق عبد القادر: "بل وظهرت اختلافات أكثر خطورة بين الدول...". انظر ويليامز، طرائق الحداثة، ص 69. ونجد عند حميد لحداني: "...ويكون الأمر في شكله الأكثر بساطة عندما يتناوب الأبطال...". بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي (بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1991)، ص 49.
- (23) هناك أمثلة عديدة من هذه الصيغة في ترجمة ثائر ديب لكتاب إدورد سعيد تأملات حول المنفى، منها مثلاً "كليسيهات ثوروية" (ص 150)، و"المنظومات السائدة، والسلطوية عموماً" (ص 153). وتضم مقدمة مطاع صفدي التي ورد ذكرها أعلاه كثيراً من هذه المنحوتات التي تلوي عنق اللغة العربية دون مسوغ، منها "صُدْفوية"، و "فِكْرَوية"، و "أخلاقوية" (ص 8)، و "اقتصادوية" (ص 11)، و "نخبوية"، "عربوية" (ص 14). أما علي الشوك فقد وجد كلمة "الفضيوية" (ببإين) ترجمة لكلمة *problematization* في كتاب سامي أدهم الذي سيرد ذكره في موضع لاحق. انظر كتاب أسرار الموسيقى (ص 41).
- (24) هناك أمثلة طريفة أخرى عند الديداي، ص 62. وقد تحدّثت جريدة الخليج الإماراتية في افتتاحية عددها الصادر بتاريخ 2005/11/13 عن "نوازع وتوجهات طائفية وإحياء لمطالبات أقلوية" – وهذه الصيغة الغربية تكاد تكون ترجمة لعبارة *minority demands*. ولكن بما أنها ليست عبارة مترجمة في هذه المقالة فإن ذلك يدلُّ على مدى تغلغل مثل هذه الصيغة حتى في الكتابة العادية، وهو ما يدل على مدى التغيير الذي يحدث للغة العربية في الوقت الحاضر بسبب الترجمة. وقد نلاحظ أن المقالة تضم أيضاً إشارة إلى الإثنية – تلك الكلمة التي فرضت فجأة على اللغة العربية دون سابق إنذار من دون حاجة حقيقة لها. قارن عبارة "وضع كارثي" التي هي نقل حرفي لعبارة *catastrophic situation* (الخليج، 2005/11/12، ص 1). وقارن ما ورد عند ثائر ديب في ترجمته لكتاب تأملات حول المنفى: "ثمة ثغرة أخرى في البناء الشكلاني للغة والأدب أحدثتهما التجربة التاريخية الإثنية والأقلوية... " (ص 28).
- (25) أورد الدكتور محمد الديداي هذه الجملة مثلاً على الترجمة التي "لم يوفّق فيها المترجم في الانسجام بين الأصوات": "يعترف بالتعليم بشكل متزايد بوصفه واحداً من أفضل الاستثمارات المالية التي يمكن للدول أن تستثمره". انظر كتابه الترجمة والتعريب، ص 30-31. لكن لاحظ في الجملة أيضاً تجاهل المفعول المطلق واستعمال صيغة "بشكل متزايد" بدلاً منه.
- (26) (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1997)، 164.

- (27) فوكوياما، نهاية التاريخ، ص 27.
- (28) انظر
- Francis Fukuyama, The End of History and the Last Man (London: Penguin Books, 1992), p. xvi.
- (29) عن عبد العزيز حمودة، المرايا المحدثبة، ص 26.
- (30) أ.ل. راتيللا: الماضي المشترك بين العرب والغرب: أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، مراجعة د. فاطمة موسى (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999)، ص 291-292.
- (31) الديدواوي، ص 89.
- (32) المصدر نفسه.
- (33) هذه عبارة شائعة ترجمة لعبارة sustainable development، ولكنها غير سليمة، أفصح منها "التنمية الدائمة". وإن شئنا الدقة دون الالتزام بعدد الكلمات قلنا "التنمية التي يمكننا المحافظة عليها". ولا خير في الإيجاز إذا أخلّ ولم يدلّ.
- (34) هو في الواقع سامي أدهم الذي نشرت كتابه دار كتابات في بيروت سنة 1994.
- (35) أسرار الموسيقى (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2003)، ص 41.
- (36) سلسلة عالم المعرفة الكويتية على سبيل المثال.
- (37) هناك أمثلة كثيرة على استهانة بعض دور النشر العربية بالمعايير الراقية في مجال الترجمة وذلك بتكليف أعداد من المترجمين لترجمة كتاب رائج من أجل كسب الوقت وجني الربح السريع، منها مثلاً تكليف ثلاثة مترجمين لترجمة كتاب فوكوياما الذي أشرت إليه أعلاه، وهي ترجمة تعاني من مشكلات كثيرة. وقد ذكر لي ممثل أحد الناشرين في معرض للكتاب يوماً أن الصيغ التي نشرتها دار النشر التي يمثلها لمسرحيات شيكسبير تترجمها مجموعات من المترجمين تجلس معاً ويكلف كل عضو فيها بترجمة فصل من الفصول.

المراجع والمصادر

1- باللغة العربية

- برنيري، ماريا لويزا، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة د. عطيات أبو السعود (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1997).
- بعلبكي، منير. قاموس المورد (بيروت: دار العلم للملايين، 1996).
- بلقيز، عبد الإله، "في نقد العسكرتاريا العربية"، جريدة الوطن، عن موقع الجريدة على الإنترنت: <http://www.alwatan.com.sa/daily/2004-01-04/writers/writers04.htm>
- حسن، عباس، النحو الوافي (القاهرة: دار المعارف، 1974)، ط 3، 4 أجزاء.
- حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدثبة: من البنيوية إلى التفكيك (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998).
- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة (بيروت: دار الكشاف، د.ت.).
- الخليج (صحيفة)، 2005/11/12، 2005/11/13.
- الديدواوي، محمد، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2002).

- رانيل، أ. ل.، الماضي المشترك بين العرب والغرب: أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة د. نبيلة إبراهيم (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999).
- سعد، فاروق، "العسكرتاريا في المشهد السياسي العربي"، جريدة الصباح، عن موقع الجريدة على الإنترنت:
<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=10015>
- سعید، إدوارد، تأملات في المنفى، ترجمة نائل ديب (بيروت: دار الآداب، 2004).
- الشوك، علي، أسرار الموسيقى (دمشق: دار المدى، 2003).
- شعبان، فؤاد، من أجل صهيون: التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأمريكية (دمشق: دار الفكر، 2003).
- عبد العزيز، عمر، "في حوار انتقد فيه الحداثة العربية: د. الغدامي: أدونيس "لا يعترف بالخطأ" ونزار سلع المرأة"، صحيفة الخليج.
- عناني، محمد، مرشد المترجم (بيروت: مكتبة لبنان، 2000).
- فوكوياما، فرانسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة د. فؤاد شاهين، و د. جميل قاسم، ورضا الشابيبي (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993).
- القدس العربي (صحيفة)، 2005/10/1.
- لحداني، محمد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1991).
- لؤلؤة، عبد الواحد، الصوت والصدى: دراسات ومترجمات نقدية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005).
- ابن مراد، إبراهيم، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985)، جزءان.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د. ت.)، 15 ج.
- ويليامز، رايموند، طرائق الحداثة: ضد المتوائمين الجدد، ترجمة فاروق عبد القادر (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999).
- الموقع الآتي على الإنترنت: <http://www.khayma.com/kshf/M/Matorydyah.htm>

2- باللغة الإنكليزية

- Asfour, Mohammad. "Problems in Modern English-Arabic Lexicography," Zeitschrift für Arabische Linguistik, 42 (2003), 41-52.
- Fukuyama, Francis. The End of History and the Last Man (London: Penguin Books, 1992).
- Wehr, Hans. A Dictionary of Modern Written Arabic, ed. J. Milton Cowan, 3rd. ed. (Ithaca, N.Y.: Spoken Languages Services, 1971).